

## أضواء البيان

@ 238 @ الذُّشُورُ { . الذلول فعول بمعنى مفعول ، وهو مبالغة في الذل . .  
تقول : دابة ذلول بينة الذل ، وقيل في معنى تذليل الأرض عدة أقوال لا تنافي بينها ،  
ومجموعها دائر على تمكين الانتفاع منها عن تسهيل الاستقرار عليها وتثبيتها بالجبال ،  
كقوله تعالى : { وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآ زَعَامَ لَكُمْ } . .  
ومن إمكان الزرع فيها كقوله : { فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا }  
إلى قوله أيضاً { مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلَآ زَعَامَ لَكُمْ } ، وقد جمع أكثرها في قوله :  
تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ رُضًا كَفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا  
فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّآءً فُرَاتًا } . .  
وكنت أسمع الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه يقول في هذه الآية : إنها من تسخير الله  
تعالى للأرض أن جعلها كفاتاً للإنسان في حياته بتسهيل معيشتة منها وحياته على طهرها ،  
فإذا مات كانت له أيضاً كفاتاً بدفنه فيها . .  
ويقول : لو شاء الله لجعلها حديداً ونحاساً فلا يستطيع الإنسان أن يحرق فيها ولا يحفر ولا  
يبني ، وإذا مات لا يجد مدفناً فيها . .  
ومما يشير إلى هذه المعاني كلها قوله تعالى : { فَاَمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا  
وَكُلُواْ مِنْ رَّزْقِهِ } لترتبه على ما قبله بالفاء ، أي بسبب تذليلها بتيسير المشي  
في أرجائها ، وطلب الرزق في أنحائها بالتسبب فيها من زراعة وصناعة وتجارة إلخ . .  
والأمر في قوله تعالى : { فَاَمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رَّزْقِهِ }  
للإباحة . ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ  
رُضًا ذَلُولًا } فيه امتنان من الله تعالى على خلقه مما يشعر أن هذا الأمر مع الإباحة  
توجيهاً وحثاً للأمة على السعي والعمل والجد ، والمشي في مناكب الأرض من كل جانب  
لتسخيرها وتذليلها ، مما يجعل الأمة أحق بها من غيرها . .  
كما قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ سَخَّرَ لَكُم مَّآءً فِي الْاَرْضِ رُضًا  
وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ } .